لبنان... وسوريا، والعراق

بوابة للحل، أو **باب إلى جهنم**... "وبئس المصير"

منذ قرابة الأربع عشرة سنة[1]، ومع انتقالي من "مثاليات" العمل الأكاديمي إلى واقع وأوحال العمل السياسي، كانت أوّل رسالة لي باللغة العربية تحت عنوان 'منطقة الشرق الأوسط: بوابة للحل، أو باب على الجحيم'[2]. وأعود اليوم، وبعد عشر سنوات من نشر هذه الرسالة، لأذكِّر بهدف ما قمت بتوثيق كل منطلقاته وحراكه[3]، واضعاً للنقاط على بعض الحروف، وفي ما لم يعُد أمامنا غيره مما يجب على كل الطاقات أن تتكامل فيه.

لا أريد التشكيك بما ينشغل فيه اليوم أكثر العقلاء وفي معالجة ما لا نهاية له من مستجدات وأحداث آنية. إلاّ أنّ ما يُعمَل على تحقيقه (أو "تثبيته") من خلال كل هذه المبادرات المخلَصة والجهد الهائل والمشكور، وفي حال الاستمرار في الاستهتار، سيذهبُ جفاء. وما أستعجل كل المخلِصين للمشاركة أو المساهمة فيه، فيه ما ينفعنا وينفع الناس ليمكث في الأرض وليُبنى على أساسه ما فيه خلاص لنا وللبشرية مما نحن فيه.

إن تخصيص لبنان (وسوريا والعراق) من بين كل البؤر المتوترة في منطقتنا، فلما أراه وخبرته من "استكبار"، ومن "هيمنة" لأصحاب 'لعبة الأقليات' على مَن مِن ساحتهم خرجت منطلقات الحرب على المستكبرين[4]. إن كان لهؤلاء المستهترين المحافظة على هيمنتهم، فما نسعى لاجتناب وقوعه سيكون "تحصيلاً حاصلاً"، من يصرّ على تقديم خصوصيته على 'هويته الجامعة' سيكون (و"المُهَيمَنُ عليه") من أكبر الخاسرين فيه.

---

[1] منذ مطلع السنة 2005، وفي ما حرصت على الابتعاد عن كل الشبهات وكي لا أترك مجالاً لأي من السفهاء ليشكِّك بما أنطلق منه وأتحرّك فيه.
[2] راجع تقديم سريع لرسالتي منطقة الشرق الأوسط، والواقع والحقيقة في قسم الأرشيف من الموقع الإلكتروني المؤقت www.mazenhajjar.net
[3] ومن تاريخ كتابتها، وفي ما يمكن الاطلاع عليه من بيانات ورسائل (مع تواريخ توزيعها على كل الجهات المعنية) على الموقع الإلكتروني أعلاه.
[4] وتجربتي الأخيرة مع هؤلاء (ومع من دفعت ثمن الدفاع عن تجاوزاتهم) لا تبشّر بأي نية لمراجعة الحسابات أو أي توجه حقيقي للإصلاح والتغيير.

وتعقيباً على ورقة 'الآن، أو لا يبقى أحد'، وفي ما يتعلّق بمخلّفات الواقعية السياسية في الساحة الدولية، وبما أن الأولوية الآن لمنطقة الشرق الأوسط، ما أطرحه (و"ما كنت أحلم به") من مشاركة لـ "شعوب حرّة" على طاولة صياغة قواعد جديدة للعبة سياسية في مواجهة تهديدات مناخية واقتصادية عالمية سابقٌ لأوانه، من الأولى أن يقتصر كلامنا وانتباهنا في الوقت الراهن على حقيقة ما تواجهه المنطقة من تهديد اجتماعي.

لقد علّمتني المراجعات أن أتفهَّمَ موقف من دئبت على انتقاد تقديمهم لخصوصياتهم على هويتهم الجامعة[5]. إلاّ أن الاستمرار في تجاهل ما "يَعمَل على تنفيذه بكل حذافيره" المالقراطيون والناطقون عنوة باسم الاكثريات لن يقتصر "خرابه" على الساحات الجامعة (وفي بيوت أصحاب الهوية الجامعة)، وعند "الاستنزاف الحقيقي"، وبعد "تجفيف مصادر الثروة"، سينقلب الكمُّ على النوع وفي ثورةِ همجٍ "تُقطَفُ" فيها رؤوس كل المستهترين.

ولقد حاولت مؤخّراً (و"للمرة الأخيرة") دفع "النظيف" وإنقاذ "البسيط" ممن سيُحسَبُ لاحقاً على المستهترين[6]. من ليس شريكاً (أو "عميلاً") للأقليات الاستهتارية (الداخلية أو الخارجية) من هؤلاء فهو مُقيَّد أو "مُعطَّل"، وفي "سياسة" تقليدية لتخريج "الجائعين"، بدلاً مِمَّن لا يمكن الاعتماد إلاّ عليه من أصحاب العزة والكرامة، "واقعٌ" لا يمكن الخروج منه إلاّ بـ "الالتفاف" حول من لا يَعتمِد في "حماية الوجود" على "الدّعم الخارجي"[7].

عندما ننظر إلى العراق فسنجده مثالاً (لـ "أصحاب الأموال" ليُنذروا به) عن دولةٍ تم أو يتم إفراغ "خزائنها"... سوريا مثال لشعب "مستقل" دُفِع ليَدخل قسراً تحت أسر المديونية... ولبنان نموذج "مُميّز" للشعوب المُستعبَدة (طوائف ومذاهب و"مُعلَّبات"، لكلِّ صندوقٍ "مُتمَلِّكٌ" "حاكمٌ بأمره")، وأجيال جديدة يُفترَض لها أن تؤلَدَ حرّة، ستجد نفسها في قبضة مؤسسات تمتلك صكوك ملكيتها قد باعها المتاجر اليوم بمصائرها وبأبخس الأثمان[8].

---

[5] والكلام هنا عن 'الأقليات المحمودة'، لا عن أصحاب المشاريع الخاصة والمتناقضة مع المصالح العامة لأهل البيت أو الشركاء في الساحة الجامعة.

[6] 'النظيف' ليس من "الملائكة"، ونحن لا نعيش في مجتمع ملائكي، إنما كل من لم تتجاوز الأوساخ ركبته في مجتمع وصلت فيه الزبالة إلى الركب. ولا أقصد بتعبير 'البسيط' الانتقاص من ذكاء أو قدر من أصفه (ووصفتهم في رسائل سابقة) به، ولكنني أشير إلى انتفاء عامل الخبث و"المكر" فيه.

[7] من يدَّعي الاعتدال والوسطية ممن يعتمِد على "الجوع" و"التعليب" من أجل "تخريج" مَن باسم احتوائهم يحافظ على بقائه لا يمكن الاعتماد عليه. لا يمكن لشعوب المنطقة الخلاص مما تنجرِفُ إليه إلاّ إذا تمكن العقلاء فيها من فهم المثل القائل God helps those who help themselves.

[8] عندما أتكلم عن 'الخزائن'، فالكلام لا يقتصر على الأموال المنقولة وغير المنقولة... و'إعادة إعمار' ما دُفِع ثمن آلة تدميره لن يكون في سبيل الله. إن كان الجيل الحالي من الشعب اللبناني مُستعبَد "من الداخل"، فالقادم من الأبناء (إن كان لهؤلاء مكان في حسابات آبائهم)، وأجيال تأتي من بعدهم، سيُواجَهون بحقيقة و"واقعَةِ" امتلاكِ مؤسساتِ هيمنةٍ لما سيُكتَبُ في مُقدّمَتِه عنوان Don't be excited, you are my own personal bitch.